

2021

## من عقب الذاكرة المغربية رحلة إلى مسقط رأس المهدي بن (تومت بهرعة (02 نونبر 1996م

إبراهيم الوافي

أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير  
eloubrah@hotmail.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [History Commons](#), and the [Sociology of Culture Commons](#)

### Recommended Citation

الوافي، إبراهيم (2021) "من عقب الذاكرة المغربية رحلة إلى مسقط رأس المهدي بن تومت بهرعة (02 نونبر 1996م)", *Dirassat*. Vol. 23 : No. 2 , Article 4.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol23/iss2/4>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *Dirassat* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

## من عبق الذاكرة المغربية

### رحلة إلى مسقط رأس المهدي بن تومرت بهرعة

(02 نونبر 1996م)

إبراهيم الوافي

أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة ابن زهر أكادير

Abstract:

This article is not a scientific article, as it is known in our magazine, that has controls and conditions in the documentation, but it is a report of a scientific trip or travel to an important area in Souss, Morocco related to the birthplace of the founder of the Almohad state, Mehdi Ibn Toumart, which is difficult to access due to the difficulty of its terrain and roads. The aim of the article is to introduce the region and to tell its secrets.

Keys-word: Morocco- souss-trip-travel-Mehdi ibn toumart.

ما كنت أود الكتابة في هذا الموضوع الآن، لكن لما رأيت البعض يشير - في غير ما مناسبة - بأن المجال الهرغي لم يسبق لأحد من الباحثين زيارته، واستكشاف أسراره، آثرت أن أسهم بهذه الورقة القريبة إلى التوثيق الرحلي أكثر منها إلى الكتابة العلمية علماً أنني أدرك أن الحدود بينها تكاد تكون منتفية، فالرحالة لا يدون إلا ما رقى إلى مستوى النظر العلمي القابل للقراءات المتعددة، ليس جواباً على مدع يفتقد الدليل وإنما أملاً وإسهاماً منا في مشاركة القارئ الشغوف بالتطلع إلى

معرفة الحقائق التاريخية المستدل عليها في آثارا ومكانا وزمانا وقائع هذه الرحلة القصيرة.

وهكذا شددنا الرحال في إطار الاهتمام الجامعي بالزيارات الميدانية واستكشاف المناطق السوسية النائية التي تكتسي أهمية في الأحداث التاريخية، وتيسر لنا في عطلة أسبوعية بتاريخ 02 نونبر 1996، أن نخرج في رحلة من مدينة أكادير إلى منطقة (أرغن) المعروفة في التاريخ ب "هرغة"، وبالضبط إلى دوار تيفيغيث - تمكزث، حيث مسقط رأس المهدي بن تومرت (ت. 524هـ)، وهي رحلة نظمها لنا صديقنا المحسن الغيور أحد أعيان المنطقة الحاج عمر أشندي الأروغني رحمه الله (ت. 1427هـ)، وبلاد هرغة (أرغن) هي إحدى قبائل المصامدة، من عمالة تارودانت، ومرافقنا الحاج عمر هو من مواليد دوار تمكزث الذي يعد عن دوار تيفيغيث (تمكزث<sup>1</sup>) مسقط رأس المهدي بن تومرت بحوالي كيلومترين.

وكان تنظيم هذه الرحلة بطلب من أستاذنا الدكتور الحسن العبادي (ت. 1437هـ) رحمة الله عليه، واصطحبنا المضيف في سيارته الرباعية، ومعنا الأستاذ حسن شوقي موظف بالمحكمة الإدارية بأكادير، والأستاذ اليزيد الراضي الذي أخذناه من تارودانت فكنا خمسة أفراد في هذه الرحلة العجيبة الممتعة.

وعند وصولنا إلى جماعة (أرغن)<sup>2</sup> في ضحى ذلك اليوم، هياً لنا مضيفنا، الذي كان عضوا منتخبا في مجلس تلك الجماعة، مجموعة من إناث البغال، المدرية على صعود قمم الجبال، مزينة بالزرابي المحلية الصنع، تعبيرا عن الفرحة وحفاوة

<sup>1</sup> (تمكزث): تعني الرقبة، وهو إطلاق كثير في المناطق السوسية، يقصدون به المنحدر المفضي إلى رأس الجبل، فهو كالرقبة بالنسبة لرأس الإنسان.

<sup>2</sup> كانت تسمى وقت رحلتنا جماعة أرغن، ثم غير اسمها مؤخرا فصارت تسمى: "جماعة تغمزت".

الاستقبال، وما هي إلا هنيئة حتى امتطى كل واحد منا البغلة المعدة له، وسرنا في قافلة من الركاب والراجلين من جماعة أرغن إلى دوار تفيگیت - تمگرت، مما مسافته حوالي ثلاث كيلومترات جهة الشمال، قطعناها بسلاسة وراحة ومتعة، وكان مضيفنا يسير أمامنا راجلا، ويلتفت إلينا من حين لآخر، ليحدثنا ويحكي لنا عن المنطقة، وتلك عادة المضيف أنه يتقدم ضيوفه إشعارا لهم بفرحته بهم، واستعداده لخدمتهم، وأن كل شيء يهون عليه فرحا وإكراما لضيوفه.

وكنا سألناه رحمه الله عن المعالم التي بقيت كما كانت عليه في القرن الهجريين الخامس والسادس، فذكر لنا منها الطريق الذي نسير فيه، الذي بقي على حاله، ولم يغير منه شيء، وهو عبارة عن مسلك عاد يدعى بالأمازيغية: (تسوكت)، يمر وسط شجر الأركان والسدر والنخيل، وغيره من الشوكيات والنباتات الجبلية المعروفة في الأطلس الصغير، ولا يظهر عليه أي تغيير، فهو طريقهم إلى دواويرهم ولسوقهم الأسبوعي بأرغن.

وإذا كان الطريق لم يتغير، فكذلك المناظر الطبيعية المحيطة بدوار تفيگیت، لم تتغير، وعلى رأسها الهضاب والجبال وأشجار الأركان وغيرها من الأشجار المثمرة المعمرة، وقد رأيناها متكاثفة، تكاد تكون في معظمها سالمة من القطع وغيره؛ بل هي زينة الموقع الذي تقع عليه العين في أسفل الجبال وأعلاها من جميع الجهات.

### مراكبنا في الرحلة:

وأما فيما يخص مطايانا في هذه الرحلة؛ فهي إناث البغال من النوع الهادئ المذلل المريح، السريع التجاوب مع راكبه، سألت عنها أحد المرافقين، فذكر لي أنها تستجلب لديهم صغيرة من أسواق الشاوية بإقليم سطات، ثم يسهرون على

ترويضها وتربيتها على بيئتهم منذ صغرها، وعلى الكيفيات التي يريدون منها، ومنها عدم الخوف من ارتياد مرتفعات الجبال، وقد تأكد لنا ذلك لما علونا على ظهورها أعلى قمة بالمنطقة التي نقصدها وهو جبل: فيكليز، وذكر أيضا أن الإناث منها أصبر وأقدر على التحمل، وأكثر اتزاناً وانضباطاً على السير في المناطق الوعرة، وإن علا بها راكبها الممرات الدائرية في أعالي الجبال، فالمطلوب من راكبها في تلك الأحوال ألا يجرهما بالإيقاف المفاجئ، وإن فعل فإنه يخاطر بنفسه وبها، وما عليه إلا أن يعطيها حرية السير ويتركها لتوصّله إلى حيث يريد، دون زجر ولا إيقاف مفاجئ، فكم هي دقيقة في تصويب وضع الحوافر، وكم هي أحفظ للمرات الخفية في وسط الصخور في الأعالي، وكم هي صبورة على الحمل على ظهرها، والسير المحكم في العلو والوعورة، مما يظهر تمرنها وتعودها على أن تمر من حيث أرادوا لها من قمم الجبال المحيطة بهم، وقد قيل لنا عن التي امتطيناها إن تجربة الواحدة منها في الميدان لا تقل عن أربعين سنة.

### الوصول إلى دوار تفيكيت - تمكرت:

وبعد وصولنا إلى الدوار ، وهو دوار صغير متواضع، نزلنا على المراكب، ودخلنا إلى إحدى الدور لتناول الفطور، فدلنا مضيفنا قبل الجلوس على البيت الذي ولد فيه المهدي بن تومرت، حسب ما تواتر لديهم من رواية أجدادهم من أهل المنطقة، وحكوا ما حكى لهم من أنه بقي على هيئته التي كان عليها منذ ميلاد المهدي بن تومرت في القرن الهجري الخامس ، وقد عايناه وهو عبارة عن بيت متواضع كالبيوت التي تكون بداخل الدور الجبلية العتيقة بسوس، مبني بالطين والحجارة، ومستقف بأخشاب الأركان والقصب، فيه طول نسبي، وقلة عرض غير خفي، مما يجعله متماسكا بحكم السكن الدائم فيه، وتعده بالصيانة، فضلا عن

كون البيئة الجبلية خالية من الرطوبة، وموقع الدوار المطل من علو على اسفل، مما يجعله معرضاً في الليل لبرودة الهواء الجبلي النقي، وفي النهار لحر الشمس الساطع، فيعتدلان.

وبعد تناولنا الإفطار في الفناء بحضرة أهل الدوار، الذين فرحوا بنا، خرجنا معهم للتعرف على المحيط الخارجي، الواقع فعلاً على رقبة الجبل، وعابنا الطريق القصير الذي كان يتردد منه ابن تومرت على مسجد الدوار وهو صغير يحفظ القرآن، كباقي أبناء القرى في البوادي السوسية، وتبين لنا أن لا علامة تدل على أن شيئاً قد تغير هناك من حفر أو تجدد بناء أو غير ذلك، بل يظهر أن كل شيء قد بقي على أصله وحاله كما كان في القرن الهجري الخامس ومطلع السادس، ولم لا قبلهما بقرون.

ثم تفقدنا الوجه الآخر من جهة الشمال للهضبة، فرأينا في السافلة موهى سحيقاً تشكّل به ما يشبه الزاوية والركن بسبب ممر الوادي، فقالوا لنا تلك هي: "تَعْمَرْتْ"؛ أي الرُّكنة، مؤنث الركن، وتظهر لك "تَعْمَرْت" من أعلى كاسمها؛ واقعة على الضفة الشمالية لنهر هرغة - تِنِيرِي، تمييزاً له عن نهر هرغة - تَرَكِي (بكاف معقودة)؛ وقد ذكروا لنا رواية أخرى تفيد بأن مسقط رأس ابن تومرت هناك بتعمرت المذكورة؛ مما يعني أن اسمه تغير من ابن "تَعْمَرْت" إلى ابن تومرت.

ويمكن الجمع بين الروایتين بحسب ما شاهدناه من القرائن، بأن مسقط رأسه بدوار تفيگیت - تمكّرت؛ بدليل ارتباطه بهذا الدوار بعد عودته من المشرق، وبنائه قلعته بجواره في أعلى قمة من قممه، وأن علاقته بتعمرت علاقة أصل عائلته وأسرته؛ لأن بعض الأسر السوسية تكون لها قطع أرضية على ضفاف الأودية لتوفر الماء، تزرع فيها الذرة والحضر وأشجار الزيتون واللوز وغيرها، وعلى كل

حال فالخطب سهل، ما دام القرب بين كل من "تغمرت" و"تفنيگيت" حاصلًا، فالأولى في المنخفض، والثانية في المرتفع؛ والإنسان عادة يكون أعرف بمسقط رأسه أكثر من غيره، وأشد ارتباطًا بمسقط رأسه، وأدرى به وبمعاله من غيره.

وعندما كنا نستطلع السافلة والوادي وتغمرت، ظهرت لنا قبة ضريح بيضاء بجانب تغمرت المذكورة، فسألنا عنها فذكروا لنا إنها قبة الولي الصالح سيدي أحمد بن محمّد (فتحا) التّغْمَرْتِي، كان معظمًا عند الناس يعتقدون ولايته، ويستحلفون بعضهم بعضًا في ضريحه، وهو جدير بأن يبحث عن عصره وأصله وترجمته؛ لأن الصلحاء في المغرب كانوا يتجولون، ويستجلبون للعلم والتبرك، وقد يكون من أبناء الموضع، والله أعلم.

- جبل "فيكليز": وهو مقصدنا في هذه الرحلة العلمية الاستطلاعية، يمثل قمة مرتفعة، ومراقبة عالية، وموقعا استراتيجيا في المنطقة، محميا من جميع الجهات بعلوه الشاهق، المجرد من كل جهاته عن تسلسل الجبال؛ مما يجعله أكثر تحصينا في ذلك الوقت، كما لا يمكن الصعود إليه إلا من جهة الغرب؛ أي من جهة الدوار، وبمشقة كبيرة؛ وهم يصعدون إليه بالبغال راكبين، ولا يستطيع ذلك إلا من تعود عليه، نتيجة حدة الممرات وصعوبتها وخطورتها، فيفضل الصاعد في بعض المقاطع أن يسير راجلا يتسلق الصخور، بدلا من أن يلتصق بالداية التي تجعله يحس بالدوار؛ مما يجعله عرضة للانزلاق من على ظهرها، وتكون نهايته في مهوى الجبل السحيق.

الوصول إلى قمة الجبل: وعند وصولنا بمشقة إلى ظهر الجبل عاينا ما يلي:

1 - سور القلعة: بدت لنا علامات دالة على أن القلعة التي بناها ابن تومرت كانت محاطة بسور من جميع الجهات، مما يدل على ضخامتها في وقتها، وتعتقد هندستها،

وكثرة بناياتها. وقد سماها طلبته في أسانيدهم التي رووا عنه الموطأ بها برواية بن  
بكير ب "رباط هرغة"<sup>1</sup>.

2 - **مسجد القلعة:** حسب ما عايناه في هذه الرحلة؛ فإن في القلعة بقايا مسجد،  
يقدر طوله بحوالي ثلاثين متراً، وعرضه بحوالي ستة أمتار، وعرض جدرانه:  
سبعين سنتيمتراً، وماتزال جدران مقصورة الصلاة المبنية بالطين والأحجار غير  
المبلطة قائمة، وفي داخل المقصورة خمسة أعمدة مبنية بالحجارة والطين ماتزال  
قائمة، يفصل بينها وبين بعضها خمسة أمتار، وما بين الصفوف حوالي ثلاثة أمتار،  
وكذلك المحراب ما يزال قائماً، وعرضه متر ونصف، وعمقه كذلك، فهو مربع الشكل  
تقريباً، محرف جنوباً بشيء يسير عن جهة القبلة، وأما باب المسجد فهو على القبلة،  
والمسجد بمثابة منصة يصعد إليه بدرجات من الحجر ما زالت قائمة بالباب.

3 - **بنايات أخرى:** عاينا كذلك قبالة المسجد بناية قديمة يشبه بنايتها بقايا  
المسجد، يمكن أن تكون محل الطبخ وتسخين ماء الوضوء و نحو ذلك،  
وجدرانها بادية عليها علامة القدم، وسألناهم عن سقفها المكون من خشب  
الأركان، فقولنا: إنه قديم لا يعرفون عن وقت بنائه شيئاً، وهو مدعم من  
الداخل بأعمدة، حافظت على بقاء الجدار الخلفي للغرفة، وهي أعمدة بنيت  
بالحجارة والطين، وساعدت تلك الأعمدة أخشاب السقف، ودعمت الجدار  
الموالي لجهة الغرب؛ مما ساعد على بقاء البناية صامدة، وما تزال نساء المنطقة  
يستعملنها لصنع الإطعام؛ أي المعروف.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> اختصر ابن تومرت رواية بن بكير للموطأ وسماها بالمحاذي،

<sup>2</sup> مصطلح المعروف في سوس يعني الإطعام العمومي الذي تقميه النساء والرجال بجوار بعض الأضرحة أو بجوار المقابر  
استجلاباً للخير ودفعاً للضرر والشر.



كما وقفنا بجوار المسجد على مخازن مياه المطر المحفورة في الأرض والمبلطة بالجير على الطريقة التقليدية، التي ما تزال صالحة ومستعملة، ومن مائها الصافي العذب النقي شربنا وتوضأنا وصلينا في المسجد المذكور.

**4 - خلوة الشيخ ومجلسه بالقلعة:** وفي القلعة بقية غار يقال إنه هو محل مجلس تدريسه، روى فيه الموطأ بسنده على طلبته هناك، وذكر لنا الدكتور الحسن العبادي رحمه الله، أنه وقف بالخزانة الوطنية بالرباط لما كان موظفاً بها، على نسخة ابن تومرت من الموطأ التي درّسها بجبل فيجيليز، وهو الجبل الذي اختار في أول أمره أن ينقطع في قلعته التي بناها به، وأسس فيها المسجد - المدرسة، ومعملاً للفضة لصناعة السيوف والنقود وغيرها، وقد وقفنا على بقايا رماد المصنع في حُفَرِ الأفران التي كانت تذاب فيها تلك المعادن، وذلك من الجهة الجنوبية للمسجد، ويقال إن ذلك هو المكان الأول الذي كون فيه أصحابه، وأعد فيه عدته لما كان يتهيأ له من خوضه غمار إنشاء الدولة الموحدية. وبهذا الاستطلاع لجبل فيجيليز بهرغة نعلم أن موقع بن تومرت الأول كان في قلعته بمسقط رأسه، وبعد أن كون اتباعه فيها التكوين الذي كان ينشده بدأ في تطبيق ما كان يؤمن به من انتهاء عهد المرابطين وبزوغ عهد الموحدين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾<sup>1</sup> ويقول ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾<sup>2</sup>.

آل عمران ، 140<sup>1</sup>

الروم، 3<sup>2</sup>